

الوعي الجماعي المتبلور حول نقطة الهدف، والنظر الى هذه الفتحة بوصفها نتاجا لعملية معتدة .
 رؤية المنطلق عند سميح القاسم يدمرها اصراره على ان يبقى محافظا على اشكاله القديمة . لذلك يحاول ان يتداخل مع انجازات الحركة الشعرية المعاصرة ، طالما لا تمس هذه الانجازات الذات الفني الذي بناه الشاعر لنفسه . اي انه لا يقتر في الهواء . يبقى على الارض . ويدرس كل خطوة يخطوها الى الامام بحواسه الخمس . ولا يترك لعلاقته الوجودية بحركة الجماهير ان تكتشف لنفسها طريقا . هكذا تخفت القصيدة . فهي حين تنطلق من ذروة الوجدان الجماعية التي في « مرائي ارميا » ترسم لنفسها عمقا خاصا لا يلبث ان يطفو ويطفو امام الصيغ الجاهزة . ولا ينقذ القصيدة سوى العودة الى الغنائيات المكثفة التي طالعنا بها الشعر الفلسطيني في بدايات انطلاقته .

المرائي تتجمد امام طسرفي المعادلة الفنية . فالمضمون الجديد يحطم الشكل القديم . والشكل القديم ولو لبس ثياب الزامير او استعمار لهجة القرآن ، فانه لا يستطيع ان يتحمل الرؤية الفنية . لذلك نهو بجدها في مكانها ولا يسمح لها بالوصول الى وجدان القارئ .

تحمل مرائي « سميح القاسم » الما عميقا ، ورؤية مأساوية نادرة . وهي في اشكالياتها الفنية تلقي العديد من الاضواء ، لان اهميتها التاريخية هي كونها تجريبية الطابع . تقف امام المنعطف ولا تدخله لكنها تطرح المشكلة عبر معاناة حقيقية . انها بداية تستطيع ان تتقدم اذا تغلبت على سطح العلاقات التي تمنعها من التقدم . فنحن لم نعد نقبل ان يكون الشعر الفلسطيني شداً لا بصارنا نحو الارض بل نطمح ان يكون توترا طبيعيا يحمل الحياة ويضمنها داخل العملية الثورية .

الياس خوري

من هنا فهو يرتبط بالطبقات الثورية عبر الالتحام بحركتها ، وبمقدار قدرة هذا الالتحام ان يكون جذريا ، تصبح القصيدة تاريخا متحركا .

غير ان محاولة سميح القاسم تكتسب مشروعيتها من اطار آخر . فهي نسج حول الذات انفلتت من البداية ويغرق في الماضي الفني لسميح القاسم . أي ان الشعر يتكسر امام اطارته القديمة . فعوض ان تنفجر القصيدة داخل حدود الحلم فانها تلتصق التماعات . خافتة ثم تطفو . فمشروعية محاولة القاسم وان كانت جزءا من محاولة البحث عن مخارج جديدة للشعر وعن دور له ، فانها تبقى مشدودة ضمن الرؤية الفنية السابقة . الخيط الواحد الذي يمتد عبر القصيدة بأسرها . والتوتر الانفعالي الذي يأتي من علاقة الاشياء ببعضها . والتضمينات الكثيرة التي تحاول ان تعطي القصيدة قفرا مظلما . والتتابع في ايقاع الشعر الذي يخبو تدريجيا . يعلو في وسط القصيدة امام علاقة الشاعر - النبي بشعبه . ثم يعود ليخبو ، تاركا المجال للصور المتلاحقة التي تذكرنا بالتتابعية الوصفية عند الماغوط . لكن تتابعية القاسم لا تمتلئ بهذا الطموح ، لان الشاعر يعود للتدخل بعنف ولا يترك للصور مهمة حمل رؤيته الفنية كما يفعل الماغوط عادة .

تدخلنا « مرائي سميح القاسم » في اشكالية بالغة الغنى والتعقيد . فهي تطرح بعنف مشكلة العلاقة بين الشكل والمضمون . ليس على مستوى سطح هذه العلاقة . بل على مستوى اصماغها . أي على مستوى قدرة الشكل على التقلقل داخل رؤية المنطلق واستيعابه لها في عملية التبلور التشكيلي الذي يرافق القصيدة . والواقع ان الذي يطرح هذه المشكلة هو تردد الشاعر في تعامله مع اللغة ، وامساكه لطرف لعبة التشكيل في القصيدة من الوسط . هذا التردد هو في المقابل دليل على أزمة جدية . أزمة القدرة على البقاء داخل